بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

شهد العالم في الربع الثالث من القرن العشرين يقظة العالم الإسلامي ، فقد استطاعت معظم أقطار هذا العالم أن تتحرر من الاحتلال الأجنبي وتنعم بحياة الاستقلال ، وبدأت خيرات البلاد الإسلامية وكنوزها تعود إلى أهلها شيئاً فشيئاً ، وظهرت هنا وهناك دعوات إلى إقامة المجتمع الإسلامي الذي يعتمد نظام الإسلام في شؤون الحياة جميعاً ، وقامت نهضة علمية واقتصادية وصناعية حققت كثيراً من أحلام المصلحين وآمالهم .

غير أن الصورة المضيئة لم تكن كاملة ، فقد شهد هذا العالم في الحقبة ذاتها كوارث ونكبات ، وتعرض لانقسامات ومظاهر من الانحراف والبعد عن الطريق القويم تفوق ما مرّ عليه طيلة قرون طويلة .

فقد بلغت مخططات اللؤم والحقد على الإسلام والمسلمين غايتها ، فأخذت تعطي ثمارها : تمزيقاً في الأمة الإسلامية ، وتشتيتاً لشعوبها ، وقضاء على مواطن القوة الأصيلة فيها ، وانتقاصاً لأقطار عالم الإسلام من أطرافه ، وإجهازاً — من داخله في معظم الأحيان — على المناطق الضعيفة فيه ، وأخيراً تلك النكبة التي لم يرزأ المسلمون بمثلها منذ ثمانية قرون وهي احتلال مدينة القدس وتدنيس المسجد الأقصى الذي يشد المسلمون اليه الرحال من كل مكان .

لكن النكبات بطبيعتها تتضمن إمكانات مضاعفة للخير أو الشر ، للتقدم أو التخلف ، للموت أو الحياة ، فإذا وضع المسلمون أيديهم على الأبعاد الحقيقية لهذه النكبات ، وقدروا أسبابها ، استطاعوا أن يستأنفوا حياة كريمة عزيزة وأن يفرضوا احترامهم على الأصدقاء والأعداء على حدّ سواء ، فالنكبات تشكل في حيـــاة الأمم وقفات اضطرارية تدفعها للتأمل في ساوكها وإعادة النظر فيه وتقويمه تقويماً دقيقاً يهيىء لها إدراك ذاتها وتجديد الثقة بقيمها الأصيلة والتمسك بها والحرص عليها .

وأحياناً تكون هذه النكبات قاتلة للأمم ، تذوب الأمة بعدها في الأمم الغالبة ، وتنسى أن معركتها معركة وجود أو عدم ، حياة أو موت ، فتتلهى بالعرض تحسبه جوهراً ، وتنظر إلى الإصلاح الظاهري دون النفاذ إلى حقائق الأمور ، ويكون حتماً أن تفنى هذه الأمة وتفقد قدرتها على الصمود .

تماماً كالفرد يصاب بوفاة قريب أو عزيز ، فإما أن يكون هذا المصاب دافعاً له على التألّق بفضل القيم والمُثُل الخالدة ، فيقوى إيمانه ، وتشتد عزيمته ، ويصلب عوده ، أو أنه يصاب بالانهيار والعدم .

وإذن ، فإن على المسلمين أن يبدأوا بتقويم حياتهم ، وعرض كل ما اعتنقوه من أفكار أو طرحوه من شعارات على ميزان النقد السليم والفكر الإيجابي الذي يهدف إلى تأكيد أحقيتهم بحياة أفضل روحياً وخلقياً واجتماعياً ، وستكون هذه بداية خطوتهم الأولى إلى تجاوز الأزمات والنكبات وإقامة المجتمع الإسلامي السليم .

وإسهاماً في أداء هذا الواجب ، نرى من الضرورة بمكان أن نعرض مبادىء الاسلام ونُظُمه وآثاره ، وأن نحدد مدى فعاليته في التمهيد لطريق الخلاص .

والأسباب التي تدعونا إلى هذا العرض كثيرة :

فالجيل المعاصر من المسلمين يواجه تحديات فكرية كثيرة ، والمبادىء المعروضة في سوق الأفكار عديدة ، والمذاهب الاجتماعية والفكرية والسياسية

أكثر من أن تحصى ، والمروّجون لهذه المذاهب والأفكار والآراء يستخدمون شتّى الوسائل التي وصلت اليها حضارة العصر لتزيينها وجعلها مقبولة من الناس . فهم يستخدمون الأقلام، والكتب والصحف والمجلات والإذاعة والأندية والجمعيات وسائر أنواع الإعلام والدعاية، وقد أصبح عالمنا — بفضل الوسائل الحديثة — عالماً واحداً تقال فيه الكلمة في أقصى الدنيا فتُسمع في أقصاها ، وأصبح من المستحيل على أمة أن تغلق على نفسها الأبواب والنوافذ لتكون بمنجاة من وافدات هذه الأفكار .

وهكذا فقد بات واجباً على المسلمين أن يتعرفوا بكل عمق ودقة على حقيقة دينهم وسعة جوانبه وضخامة ما يستطيع أن يقدم للمسلمين وللإنسانية جمعاء . وما لم يفعل المسلمون ذلك اهتزت قواعد الإيمان في قلوبهم ، وتزعزعت مبادىء الإسلام في نفوسهم ، وأصبحوا نهباً للغازين من كل حدبٍ وصوب .

وقد راجت بين المسلمين آراء وأفكار لا تتفق مع الإسلام ولا تلتقي معه في مبادئه أو أهدافه ، وكان من أول ما انتشر بين المسلمين فكرة العلمانية بمعنى فصل الدين عن الدولة أو إبعاده عن شؤون الحياة . والعلمانية مبدأ غريب على الإسلام ، نشأ في بيئة فصلت بين ما لقيصر وما لله ، فجعلت لقيصر كل ما في الحياة من شؤون ، وقصرت حدود الإيمان الإلهي على الارتباط الروحي ومكان العبادة .

وواضح أن هذا المفهوم لا ينطبق على الإسلام ، إذ ليس فيه حدود بين الدين والحياة ، بين الحكم والعبادة ، فالإسلام دين الحياة الإنسانية بكل ما ينشأ عنها من ضروب النشاط والفعالية ، وأي دعوة لجعله قاصراً على علاقة الإنسان بربه هي دعوة مضللة تهدف إلى القضاء على الإسلام والحياة الإسلامية من الجذور .

ومما حاول البعض الترويج له بين المسلمين ، فكرة القومية المنفصلة عن الدين والتاريخ الإسلامي وتراث الإسلام الحضاري ، وكانت هذه الفكرة امتداداً لمبدأ

القوميات الذي ظهر في أوربا في القرن التاسع عشر ، والذي كان من أهم أهدافه تجميع الشعوب التي تحكمها امبراطوريات مختلفة في قوميات واحدة تقوم على أساس دول منفصلة عن تلك الامبراطوريات .

وحين تتعصب كل قومية لقوميتها الخاصة تتفتت وحدة المسلمين ، خاصة إذا نُحّي الدين وأُبعدت التقاليد التي تنبثق عنه جانباً ، وكان هذا ما حصل ، فقد تشتت المسلمون إلى أمم وقوميات مختلفة ، ثم انقسمت كلّ من هذه القوميات إلى قوميات أصغر ، وكان هذا كله نتيجة طبيعية للتمسك بهذا المبدأ ، لأنك إذا أعطيت لنفسك الحق في أن تبني كيانك على أساس قومي يتنكر لماضيك وتاريخك وعقيدتك ، انقطعت الصلة التي تشدّك إلى سائر المسلمين ، وأصبح واجباً عليك أن تمنح غيرك ما منحته لنفسك .

وكانت الاشتراكية العلمية بتطبيقاتها المختلفة مما روّج له المروّجون وبذلوا في سبيل نشره الكثير والقليل ، والاشتراكية العلمية بكل أنواعها ومذاهبها ، ظاهرة كانت أم مقنعة ، مذهب يُناقض الإسلام في أُسسه ومبادئه وتطبيقاته ، والمسلمون بالإسلام في غنى عن الاشتراكية وغيرها من المذاهب الأخرى ، وكل ما ينقصهم استنباط ما يصلح لزمانهم ومجتمعاتهم من شريعتهم التي استطاعت طيلة أربعة عشر قرناً أن تسد جميع حاجات الإنسان ، دون أن تضيق عن تطور أو يستعصي عليها حل مشكلة مهما كانت دقيقة وصعبة .

ثم إن الدعوة إلى الحياة الاجتماعية الغربية بكل ما فيها من مظاهر التحلل الخلقي والبعد عن القيم الشريفة والإنسانية ، والتمهيد لهذه الحياة بشتى صنوف الدعاية ، وتزيينها للناس بالبريق الخادع البراق ، من أخطر أنواع الغزو الذي تعرضت له المجتمعات الإسلامية ، وقد تغلغلت مبادىء هذه الحياة الدخيلة في كثير من الأفكار الإسلامية حتى كادت أن تطغى على الأصيل من أخلاق الشعب المسلم ومثله ومبادئه الإسلامية التي تتناقض كل التناقض مع القيم المادية التي رسّختها الحضارة الغربية الحديثة .

أضف إلى ذلك تغلغل الغرب السياسي والاقتصادي والفكري والثقافي [1] وانتشار روح الإلحاد والبعد عن الدين ، وجهل المسلمين بحقيقة الإسلام ، إذ تجد منهم من يظنه قاصراً على العقيدة والعبادة ، ومن يجعله قاصراً على مرحلة تاريخية معينة أدى دوره منها وانتهت مهمته ، ومن يعتقد أنه يفرض صورة جامدة من التنظيم الاجتماعي والإنساني لا تناسب التطور البشري .

كل هذا يجعل أمراً محتماً أن يعرض الإسلام على حقيقته عرضاً شاملاً واضحاً بحيث تبدو جميع معالمه متناسبة الأجزاء ، مع بيان حكمة تعاليم الإسلام وتفوق مبادئه على جميع الأديان والمذاهب والأنظمة الأخرى .

وتحقيقاً لهذا الغرض قررت جامعة الرياض تدريس مادة « الثقافة الإسلامية » في جميع كلياتها فكانت بذلك أول جامعة تستجيب لنداء الحق ، وتحقق رغبات مثقفي المسلمين ومفكريهم في وجوب عرض الإسلام وتدريسه كعقيدة حية ، ورسالة جامعة ، يلتقي حولها المسلمون ليبشروا بها بين الناس كما يفعل الداعون من أصحاب العقائد والرسالات ، فهي تستحق لذلك شكر المسلمين وتقديرهم .

وكانت كلية الشريعة في جامعة دمشق أقرت تدريس مثل هذه المادة لطلابها وأطلقت عليها اسم « نظام الإسلام » ، ثم فعلت ذلك كلية الشريعة بمكة المكرمة وأسمتها « الثقافة الإسلامية » ، وأخيراً قررت جامعة أم درمان الإسلامية في السودان تدريس مادة نظام الإسلام [2] ونرجو أن تأخذ بهذا النظام سائر الجامعات والكليات في البلاد الإسلامية .

إن مادة الثقافة الإسلامية تحرص على إعطاء الطالب صورة شاملة عن الإسلام قبل أن يدخل في التفصيلات ، فهي لا تبحث في التوحيد أو الفقه أو أو التفسير أو الحديث أو غيرها من العلوم الإسلامية كعلوم قائمة بذاتها ولكنها تستفيد من هذه العلوم جميعاً للتعرف على حقيقة الإسلام ، وروح الثقافة والحضارة

---

١ – نقصد بالغرب هنا معناه العام سواء كان شرقياً أم غربياً حسب مصطلحات السياسة .

٢ – محمد المبارك : نظام الإسلام : العقيدة والعبادة ص ٢٤ .

الإسلامية ، وطبيعة هذا الدين المتميزة ، الذي يأخذ بالإنسان في طريق الله في نفس الوقت الذي يهيء له أن يستمتع بخير ما في هذه الدنيا وأطيبه : « وابتَغِ فيما آتاكَ اللهَ الدارَ الآخِرَةَ ولا تنسَ نصيبكَ من الدّنْيا وأحسِن كما أحسَنَ اللهُ إليْكَ » [1]

ومن خلال منهج هذه المادة يبدو أن من الضروري ان نلمّ بالمواضيع التالية :

١ — حقيقة الإسلام كعقيدة حية متجددة في القلوب والعقول .

٢ — نظام الإسلام في شتّى أنواع النشاط الإنساني : في العقيدة والعبادة والأخلاق والفكر والاقتصاد والسياسة والاجتماع .

٣ — أثر الإسلام كدين في ثقافة العرب وحضارتهم ، وما حققه من تقدم في نطاق الإنسانية .

وغنيّ عن البيان أن جامعة الرياض حين أقرت تدريس هذه المادة في جميع كلياتها بغض النظر عن الاختصاصات التي تدرس في كل كلية ، لأن لهذه المادة علاقة أساسية بتكوين الشخصية الإسلامية المتميزة : شخصية الفرد المسلم ، وشخصية الأمة المسلمة ، أو بمعنى آخر لأنها تساهم في إعطاء المسلم هويته التي يستقل بها عن الآخرين . وضرورة هذه الشخصية لا تبدو بالنسبة لطالب كلية دون غيره ، فهي قدر مشترك بين جميع أفراد الأمة . وعن هذه الشخصية يصدر الفرد قراراته ويكيف علاقاته ، وعنها أيضاً تصدر مواقف الأمة في شؤونها صغيرة كانت أم كبيرة .

وفي رأينا أن منهاج هذه المادة يجب أن يتوخى تحقيق الأغراض التالية :

أول هذه الأغراض في نظرنا ، إيجاد وعي علميّ صحيح بحقيقة الإسلام ، وذلك حتى يكون الشاب المسلم وهو صاحب عقيدة ، مدركاً لعقيدته ، عالماً

---

١ — الآية الكريمة من سورة القصص ٧٧ .

بشتى جوانبها وأبعادها ، لأن هذا الإدراك يمنحه مناعة وحصانة كاملتين تجاه جميع الأفكار والعقائد والاتجاهات الدخيلة والمغايرة .

وثاني هذه الأغراض ، المساهمة في إيجاد المسلم القويّ الصالح الذي يعمر هذا الكون ، مؤمناً بربه ، خاضعاً له ، عاملاً على تكوين المجتمع الصالح الذي تتكاتف قواه كلها لإعلاء كلمة الله وتحقيق شريعته .

وثالث هذه الأغراض ، تنمية شعور الولاء للأمة الإسلامية والإلحاح على مكانتها وأهمية رسالتها العظيمة للإنسانية ، وما يمكن أن تكونه لنفسها وللناس .

ورابع هذه الأغراض ، تصحيح الفكرة الخاطئة التي أشاعها خصوم الإسلام في نسبة انحطاط المسلمين إلى تمسكهم بالإسلام وبيان أن العكس هو الصحيح ، وأن تخلف الشعوب التي تؤمن بالإسلام كان بسبب تخليهم عن مبادىء هذا الدين القويم وتطبيقها تطبيقاً واعياً سليماً في حياتهم الفردية والاجتماعية .

والثقافة الإسلامية بتحقيقها هذه الأغراض ، تستطيع أن توجد الفرد المتميز والمجتمع المستقل ، وهذا أول الطريق للسير في السبيل القويم ، الذي يؤدي إلى تحقيق الكرامة والتقدم ورضاء الله .

وأخيراً فإن الكتاب الذي بين يديك محاضرات سبق أن القيت على طلاب جامعة الرياض ، تتناول عدداً من موضوعات مادة الثقافة الإسلامية ، نقدمها مساهمة متواضعة في تعميم نشر ثقافتنا العظيمة وتحقيق أغراضها .

والله من وراء القصد .

بيروت – رجب ١٣٨٩
ايلول ١٩٦٩

عبد الكريم عثمان